

## حركة حماس: من الميثاق إلى وثيقة السياسات العامة

### "دراسة مقارنة"

#### Hamas movement: From the Charter to the General Policy

#### Document A comparative study

\*د. عقل محمد صلاح

أستاذ مساعد

الإدارة العامة للبحوث والدراسات، المجلس التشريعي، فلسطين

salah.nablus@yahoo.com

|                         |                          |                           |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2023/01/15 | تاريخ القبول: 2022/12/01 | تاريخ الارسال: 2021/01/19 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

#### ملخص:

أصدرت حركة حماس ميثاقها في سنة 1988، الذي أصبح الناظم لعملها السياسي والتنظيمي والكفاحي، وحدد علاقاتها الداخلية والخارجية. ومن ثم أصدرت حماس بعد توقيع اتفاق أوسلو سنة 1993 وثيقتها السياسية "التعريفية" التي حددت طبيعة عملها السياسي. وفي عام 2006 شاركت الحركة في الانتخابات التشريعية وشكلت الحكومة العاشرة منفردة على الرغم من رفضها المشاركة في الانتخابات التشريعية سنة 1996. ومن ثم قامت في الانقلاب العسكري وسيطرت على القطاع سنة 2007، مما وضعها أمام خيارين إما استمرارها بالتشدد الأيديولوجي أو التأقلم مع وقائع الحكم، ولكنها فضلت تطويع أيديولوجيتها لتفتح نافذة للولوج للعالم الخارجي متخلية بشكل كلي عن الميثاق، وعن ارتباطها الوثيق بحركة الإخوان المسلمين، وذلك من خلال إصدارها لوثيقة السياسات العامة سنة 2017.

الكلمات المفتاحية: حركة حماس؛ الإخوان المسلمين؛ الميثاق؛ وثيقة السياسات

العامة؛ منظمة التحرير الفلسطينية.

\*المؤلف المرسل : عقل محمد أحمد صلاح

## Abstract:

Hamas issued its charter in 1988, which became the organizer of its political, organizational and struggle work, and defined its internal and external relations. Then, after signing the Oslo Accords in 1993, Hamas issued its political document that defined the nature of its political work. In 2006, the movement participated in the legislative elections and formed the tenth government alone, despite its refusal to participate in the 1996 legislative elections. Then Hamas carried out the military coup and took control of the Gaza Strip in 2007, which left it with two options, either continuing with ideological militancy or adapting with governance obligations. However, Hamas preferred to adapt its ideology to open a window into the outside world, completely abandoning the charter and its close association with the Muslim Brotherhood movement, and that is through the issuance of the Public Policy Document in 2017.

**Keywords:** Hamas movement; Muslim Brotherhood; The charter; public policy document; Palestinian Liberation Organization.

## مقدمة:

حركة المقاومة الإسلامية بدأت كحركة دعوية اجتماعية هدفها نشر الهوية الإسلامية، وخلال هذه المرحلة من عمرها، لم تمارس أي عمل مقاوم ضد الاحتلال الصهيوني. ومع اندلاع الإنتفاضة الأولى انخرطت الحركة في العمل العسكري، من خلال ظهورها باسم جديد "حماس".

ومن ثم أصبحت حماس قوة أساسية على ساحة المقاومة الفلسطينية منافسة للتنظيمات الفلسطينية الأخرى، وبعد انطلاقها أصدرت ميثاقها الذي يعتبر المرجعية الرئيسية للحركة. وفي عام 2006 قررت حماس المشاركة في النظام السياسي، واستطاعت تشكيل الحكومة الفلسطينية العاشرة.

فأصبحت حماس بعد وصولها لسدة الحكم، وتعرضها للحصار المطبق أمام خيارات جديدة، إما استمرارها بالتشدد الأيديولوجي أو التأقلم مع وقائع الحكم، ولكنها فضلت تطويع أيديولوجيتها لتفتح نافذة للانفتاح على المجتمع الدولي، وبناء علاقات مع مصر.

وبعد مرور ما يقارب الثلاثة عقود قامت حركة حماس بإصدار وثيقة جديدة، دون تحديد مصير الميثاق الذي حكم سياسة الحركة طوال الفترة السابقة، وعليه تطرح هذه الدراسة إشكالية محددة تتعلق بالإجابة على سؤالها المحوري: ما الذي دفع بحركة حماس لإصدار وثيقتها الجديدة؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية العديد من الأسئلة الفرعية وهي:

- ✓ هل أعادت حركة حماس النظر في الكثير من مبادئها ومواقفها السياسية والأيديولوجية؟
- ✓ لماذا لم تعلن حماس بصراحة إلغاء أو تعديل الميثاق في ظل إصدار الوثيقة الجديدة، وهل أبقى مصير الميثاق للتقادم الزمني؟
- ✓ هل سيلقى ميثاق حماس، مصير الميثاق الوطني الفلسطيني سنة 1998، الذي تم التخلي عنه؟

هذا ما ستتناوله وستحاول الدراسة الإجابة عنه، فدراسة مواقف حركة حماس منذ الميثاق وصولاً للوثيقة هي دراسة مقارنة للوثيقتين بين الماضي والحاضر، بناء على تجربة الحركة. فوثيقة حماس تضمنت 11 عنواناً و42 بنداً تفصيلياً، واحتوت على 1810 كلمة، في حين ورد الميثاق في 36 مادة، واشتمل على 5400 كلمة تقريباً.

منهج الدراسة: للإجابة عن الإشكالية أعلاه اعتمدنا المنهج المقارن والمنهج التحليلي من أجل المقارنة ما بين نصوص الميثاق الحمساوي وبنود وثيقة السياسات الحمساوية العامة، ومعرفة التغيرات الفكرية والسياسية وتحليلها، وتحديد نقاط الاتفاق والاختلاف الواردة في كل من بنود الميثاق عام 1988، وبنود وثيقة السياسات العامة سنة 2017.

والمنهج التحليلي لتحليل الأسباب والأهداف التي تقف وراء إصدار حماس لوثيقة السياسات العامة بعد ثلاثة عقود من إصدارها للميثاق، وتحليل موقف الحركة من عدم إعلانها رسمياً عن إلغاء الميثاق القديم بعد إصدار الوثيقة.

وتتجلى أهمية الدراسة بأنها تبرز التغيرات التي أحدثتها حماس على فكرها وسياساتها العامة من خلال بنود وثيقة السياسات العامة المستحدثة، ويتوقع أن تمثل هذه الدراسة

إضافة نوعية للباحثين في مجال الحركات الإسلامية التي استطاعت الوصول لسدة الحكم من خلال المشاركة بالانتخابات العامة.

### المبحث الأول: العلاقة بين حماس والإخوان

يتناول هذا الباب نبذة تاريخية عن حركة حماس، وارتباطها بجماعة الإخوان المسلمين في مصر بالاعتماد على كل من بنود الميثاق، والمذكرة التعريفية، والوثيقة السياسية الجديدة، وتصريحات قادتها بين الماضي والحاضر، وتوضيح تطور موقف الحركة الأيديولوجي من قضايا متعددة منذ نشأتها ولغاية إصدارها لوثيقة السياسات العامة، وتبيان أبرز التغيرات التي حدثت على أهدافها السياسية.

### المطلب الأول: حماس الأصول والميثاق

تعود الأصول التاريخية لحركة حماس إلى جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين التي تأسست على يد الشيخ المقعد الشهيد أحمد ياسين، والتي كانت فرعاً من أفرع حركة الإخوان المسلمين في مصر التي أسسها الشيخ الراحل حسن البنا عام 1928<sup>1</sup>. فتوضح حماس صلتها بجماعة الإخوان المسلمين في المادة الثانية من ميثاقها بأن "حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين. وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث"<sup>2</sup>

إن علاقة حركة الإخوان بفلسطين تعود لعام 1935، عندما أرسل الشيخ البنا شقيقه عبد الرحمن ومحمد الحكيم لفلسطين لنشر الدعوة فيها، ومن ثم أنشأ الإخوان أول فروعهم في مدينة حيفا عام 1936، ثم في مدينة غزة<sup>3</sup>، وفي عام 1943 أسسوا جمعية المكارم في القدس التي كانت البداية الحقيقية لوجود الإخوان في فلسطين<sup>4</sup>. ومن ثم انتشرت فروعهم في جميع أنحاء فلسطين، حيث وصل عدد الفروع عام 1947 إلى خمسة وعشرين فرعاً، وكانت جميع الفروع تخضع لإشراف الحركة الأم في القاهرة. وقد نشط الإخوان في حملات التعبئة والإعداد الشعبي للجهاد ضد اليهود قبل عام 1948، وفي حرب 1948 شاركت الجماعة في فلسطين ومصر في الجهاد ضد العدوان الصهيوني<sup>5</sup>.

ولكن بعد نكبة 1948، واحتلال إسرائيل للجزء الأكبر من فلسطين، ضمت الضفة الغربية إلى الأردن بشكل رسمي سنة 1950، بينما رفضت مصر ضم قطاع غزة، وإنما سيطرت عليه بوساطة الحكم العسكري. وقد كانت علاقة النظام المصري تجاه فرع الإخوان في القطاع - الذي تم تشكيله من القيادة المحلية عام 1949 تحت مسمى جمعية التوحيد -

مرهونة بالعلاقة بالحركة الأم، فمحاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر سنة 1954 أدت إلى تعرض الحركة في كل من مصر والقطاع للاضطهاد والتعذيب، مما دفع إخوان غزة للعمل بسرية، ووصلت حملة الرئيس عبد الناصر ضد الإخوان ذروتها في 1965، فقام باعتقال الآلاف من قيادات وأنصار الإخوان في مصر والقطاع ومن ضمنهم أحمد ياسين، إضافة لإعدام عدد من قادة الإخوان في مصر وعلى رأسهم سيد قطب<sup>6</sup>. لقد اتخذ عمل الإخوان في الضفة منحى تربوياً وسياسياً، في حين غلب على عمل الإخوان في القطاع الطابع العسكري المقاوم<sup>7</sup>.

لقد قام عدد من أعضاء الإخوان في القطاع بتشكيل مجموعتين سريتين هما شباب الثار وكتيبة الحق. فقد رأى شباب المجموعتين أن تشكيل تنظيم عسكري بعيداً عن الأطر الأيديولوجية لمقاومة الاحتلال، سيحيد العداء الناصري للإخوان، ويخرجهم من مأزقهم السياسي، فقدم الشهيد خليل الوزير -أحد أعضاء كتيبة الحق- مذكرة خطية في 1957 لقيادة الإخوان، إلا أن الإخوان أهملوا المذكرة، غير أن المجموعتين تابعتا العمل وانتهى الأمر بتكوين النواة الأولى لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" ما بين عامي 1958 و1959. وفي سنة 1960 تبنى الإخوان موقفاً معارضاً من قيام حركة فتح، متخذين قراراً رسمياً بعدم تبني مشروعها لأنه يختلف تماماً عن مشروع الإخوان<sup>8</sup>.

ففي المادة الأولى من الباب الأول من ميثاق الحركة، حددت الحركة منطلقاتها الفكرية، فبينت أن منطلقاتها تنبع من الدين الإسلامي، فهو مرجعها، وإليه تحتكم في جميع تصرفاتها. ولم تكتف الحركة بتحديد هويتها العقائدية بالإسلام، وإنما بينت بأنها تتبع المنهج العقائدي لجماعة الإخوان المسلمين. فقد حددت شعارها بأن "الله غايتها، والرسول قدوتها، والقرآن دستورهما، والجهاد سبيلهما، والموت في سبيل الله أسمى أمانها"<sup>9</sup>، وهو نفسه شعار جماعة الإخوان المسلمين<sup>10</sup>. فيعرفها الشيخ ياسين بأنها "حركة ربانية يوحدتها الإسلام والإيمان والجهاد، لا فرق بين داخل وخارج أو ضفة وغزة، فالكل في خندق واحد، الكل ينفذ من جانبه ما أنيط به لتحقيق المشروع الإسلامي، والذي يبدأ بتحرير الإنسان، ثم تحرير الأرض، ثم إقامة نظام الله وتطبيق منهجه وشريعته، وهذا المشروع وحدة واحدة لا يتجزأ"<sup>11</sup>.

### المطلب الثاني: وثيقة السياسات العامة لحماس

لقد عرفت حماس نفسها في الوثيقة السياسية التي أصدرتها في الأول من أيار/مايو 2017 في باب التعريفات من الباب الأول في البند الأول بأنها حركة تحرر ومقاومة

وطنية فلسطينية إسلامية، هدفها تحرير فلسطين ومواجهة المشروع الصهيوني، مرجعيتها الإسلام في منطلقاتها وأهدافها السامية<sup>12</sup>. لاغية في تعريفها هذا ارتباطها الفكري والتنظيمي بحركة الإخوان المسلمين الأم. فحماس حذت حذو حزب النهضة التونسي، والفكر الجديد للشيخ راشد الغنوشي الذي فك ارتباطه بجماعة الإخوان المسلمين المصرية التي فشلت فشلاً ذريعاً في الحكم. ولعل فك حماس ارتباطها بجماعة الإخوان جاء نتيجة للعديد من الضغوط الذاتية والموضوعية وأهمها: إغلاق المنفذ الوحيد للقطاع، وسياسة الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي تجاه القطاع. لكن من الممكن أن الحركة ألغت الارتباط الشرعي (الرسمي العلني) وأبقت على الارتباط العرفي (السري) لحين حدوث تغير استراتيجي في الواقع الإقليمي، لتعلن مرة ثانية عن ارتباطها بحركة الإخوان.

لقد حرصت الحركة في الوثيقة الجديدة على تعريف نفسها دون ذكر علاقتها بالإخوان المسلمين، على عكس الميثاق الذي أكد في غالبية بنوده على أن حماس هي فرع من أفرع حركة الإخوان المسلمين.

بالنسبة لكون حركة حماس فرع من أفرع الإخوان حسب ما ورد في الميثاق، ينفي خالد مشعل - رئيس المكتب السياسي لحركة حماس السابق - وجود أي علاقة تنظيمية مع الإخوان المسلمين في حوار له مع غسان شربل في سنة 2005، فعند سؤاله عن علاقة الحركة بالإخوان في كل من الأردن ومصر وسوريا ولبنان، أجاب "بأن الحركة لديها علاقات بالإخوان في كثير من الأقطار، وبغيرها من الحركات الوطنية والقومية والإسلامية، وهي علاقات تواصل وتنسيق وتعاون وليست علاقات تنظيمية"، مضيفاً "نحن حركة فلسطينية قائمة بذاتها في فلسطين، ولها قضيتها التي تشغل بها، لكننا منفتحون على أمتنا العربية والإسلامية وعلى مختلف قواها وتنظيماتها بما فيها الإخوان المسلمين"<sup>13</sup>.

لكن رغم ذلك، تجدر الإشارة إلى أن حماس شاركت في اجتماع الإخوان المسلمين في قطر أواخر سنة 2016، الذي دعا له الشيخ يوسف القرضاوي وشارك فيه راشد الغنوشي، وقيادات من الجماعة في مصر، وفي غيرها من الدول. حيث بحث الاجتماع إمكانية تفعيل مجلس سياسي خاص بالجماعة، يمثله شخص من كل دولة لتنسيق المواقف بشأن الأزمات التي تعصف بالمنطقة، وأن مشعل قد يتولى مسؤولية تنظيم وتفعيل هذا المجلس<sup>14</sup>. وهذا يؤكد بشكل قاطع على أن حماس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجماعة الإخوان العالمية، وأن ما

تصرح به للإعلام هو فقط من أجل التساوق السياسي مع الأحداث الجارية على الساحة الإقليمية.

وفي أعقاب إعلان حركة الإخوان في مصر تنظيمًا إرهابيًا في نهاية سنة 2013، صرح قادة حماس بتصريحات متناقضة حول علاقتهم بالإخوان المسلمين. فقد بين سامي أبو زهري "إن الانتماء الفكري لحركة حماس لفكر جماعة الإخوان المسلمين لا يعني انتماءها التنظيمي لها، لأن حماس حركة تحرر وطني فلسطيني وليست مصرية"<sup>15</sup>. بينما صرح صلاح البردويل تصريحًا مناقضًا بأن "حركة حماس هي حركة الإخوان بشحمها ولحمها"<sup>16</sup>. وأكد فوزي برهوم -الناطق الرسمي باسم الحركة- "أن حماس لا تنسلخ عن جلدتها، فهي تنتهي للمدرسة الفكرية لجماعة الإخوان ولا يعيها هذا الانتماء"<sup>17</sup> وعلق الباحث بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية محمد جمعة على تصريحات قادة الحركة بأن حماس لا تنتهي للإخوان المسلمين من الناحية الفكرية فقط، ولكن يوجد تداخل تنظيمي بين الحركتين فمجلس الشورى لحماس يضم عشرة قيادات من تنظيم الإخوان العالمي، من ضمنهم ثلاثة قيادات من إخوان مصر<sup>18</sup>.

وفي هذا الصدد، يمكن تفسير محاولة قادة حماس التنصل من الانتماء التنظيمي لحركة الإخوان في ظل الظروف التي يمر بها تنظيم الإخوان بمصر، حتى لا يجري عليهم ما جرى في عهد الرئيس الراحل عبد الناصر. فحظر تنظيم الإخوان في مصر في أعقاب ثورة يونيو سنة 2013 انعكس بشكل سلبي على علاقة حماس بالنظام المصري. كما يمكن تفسير تناقض تصريحات قادة الحركة بأنه سياسة تكتيكية براغماتية تتمثل بتكامل الأدوار، وكأن الحركة تمسك العصا من المنتصف، فهي من ناحية لا تستطيع الانسلاخ عن الحركة الأم، ومن ناحية أخرى لا تستطيع الاعتراف بأنها مرتبطة تنظيميًا بها في ظل الأحداث السياسية الحاصلة على الساحة المصرية خوفًا من أن يعيد التاريخ نفسه.

ويهمنا في هذا السياق أن نشير إلى أن أول حزب مرتبط بالإخوان قام بتطويع أفكاره لتتلاءم مع النظام هو حزب العدالة والتنمية المغربي، فوصل للسلطة بدون ثورة أو إراقة للدماء.

وتحاول حركة حماس إعادة إحياء العلاقة مع الجانب المصري، عبر زيارة وفد من الحركة للقاهرة في حزيران/مارس 2016 وذلك من أجل فك الحصار المفروض على القطاع

وفتح معبر رفح. مما سبق يتجلى بأن الحركة تسعى بقوة مع جميع الأطراف لإعادة العلاقات لأنها تعيش أزمة حقيقية في القطاع، فلا المصالحة الفلسطينية تحققت، ولا مشاكل غزة حلت، ولا الحصار تم فكّه، مما أدى لعجز الحركة عن تقديم الخدمات العامة ودفع رواتب الموظفين. وذلك لأن علاقاتها مع محور الاعتدال -قطر وتركيا والسعودية- لم تحقق لها شيئاً، فتركيا أعادت علاقاتها مع إسرائيل متنازلة عن رفع الحصار عن القطاع كشرط لإعادة العلاقة، وقطر لا تريد تقديم المساعدات المالية بشكل مباشر لحماس، وإنما عن طريق إسرائيل التي تضع العديد من الشروط التعجيزية لحل مشكلة موظفي حكومة حماس، والسعودية منشغلة في تمتين علاقاتها مع إسرائيل.

لقد قدمت حماس تنازلات بناء على التغيرات الإقليمية، من أجل تكييف علاقاتها مع الخريطة الجديدة للشرق الأوسط<sup>19</sup>. فالمتتبع لمسيرة حماس السياسية يلحظ مسألة في غاية الأهمية، وهي أن الثابت في مسيرتها هو المصلحة الحزبية، على اعتبار أن سياستها منبثقة من الإسلام، بينما يظهر أن المتغير هو ما قيل عنه ذات يوم، أنه من الثوابت والاستراتيجيات التي لا تساهل فيها، ولا حياد عن أصولها، لكن الأحداث والتحالفات والاصطفافات السياسية في الوطن العربي بعد الربيع العربي، تظهر بوضوح تذبذباً سياسياً واضحاً في موقف حماس، وولاءاتها واصطفافاتهما، ما يدفع إلى الاعتقاد بأن حماس تنتهي إلى مشروع سياسي تغلب عليه المصلحة، والتعاطي مع كل فرصة تخدم ذلك المشروع السياسي، بصرف النظر عن مدى مشروعية تلك الفرص وانسجامها مع الثوابت الأساسية، والمعتقدات الدينية التي تضبط إيقاع برنامجها السياسي، وتحالفاتها وعلاقاتها ومواقفها المتعددة.

أوضحت مسيرة حركة حماس بجلاء مدى البراغماتية التي يتسم بها السلوك السياسي للحركة، وقدرتها على تطويع المبادئ لصالح ما تراه مفيداً لها في لحظة معينة، ومن مظاهر ذلك قبولها بدولة على حدود الـ67، واستبدال الارتباط الشرعي مع الحركة الأم بالارتباط العربي.

**المبحث الثاني: ميثاق حماس وميثاق منظمة التحرير، الأول استبدال والثاني تعديل**  
إن إصدار حماس لميثاقها الخاص، جاء بسبب رفضها الانضمام لأي أطر أو هياكل تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، لأن الحركة لم تعترف بالمنظمة كممثلًا شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وباءت كل محاولات انضمامها للمنظمة بالفشل. فمعوقات انضمام الحركة للمنظمة - من وجهة نظرها - تقوم على ثلاث ركائز، الأولى نهج المنظمة العلماني وعدم



التزامها بالنهج الإسلامي، والثانية برنامجها السياسي المتعلق بالتسوية مع الاحتلال<sup>20</sup>، والثالثة نسبة تمثيلها بالمنظمة، فقد اشترطت الحركة أن تمثل بنسبة تتراوح بين أربعين وخمسين بالمئة<sup>21</sup>.

ويمكن الإختلاف بين ميثاق الحركة وميثاق منظمة التحرير، بأن ميثاق الحركة تغلب عليه اللغة الإنشائية، والنصوص الدينية، والإقتباسات الشعرية، وتغيب عنه الصياغة السياسية واللغة القانونية. بينما نجد أن ميثاق المنظمة غلبت عليه الصبغة السياسية والوطنية. لقد صيغ ميثاق الحركة بلغة فضفاضة عامة، وغير محددة كاستخدام مصطلحات الأوطان والطغاة ودولة الباطل، بينما تميز ميثاق المنظمة بلغته الواضحة والمحددة والمباشرة في تحديد النصوص. وفي ميثاق الحركة كان الحديث موجهاً للناس، بينما كان ميثاق المنظمة يخاطب الشعب الفلسطيني.

وبخصوص الحدود الجغرافية لدولة فلسطين، فقد كانت محددة في ميثاق المنظمة في المادة الثانية التي نصت على أن "فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ"<sup>22</sup>، بينما لم يتم تحديدها في الميثاق، وإنما ورد في الميثاق بعدها المكاني حيثما تواجد المسلمون الذين يتخذون الإسلام منهجاً، ومن ثم تعود لتبين بأنها حركة فلسطينية متميزة تسعى لرفع راية الله على كل شبر من أرض فلسطين. ولكن تم تحديد حدود فلسطين في المذكرة التعريفية وتصريحات قادة الحركة بأنها من البحر إلى النهر.

لقد استند ميثاق المنظمة في مقاومة الاحتلال، على حق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه، واسترداد أرضه المحتلة، فنظر لفلسطين من منظور وطني قومي، على خلاف الحركة التي قرنت قضية فلسطين بالبعد الديني، فربطت الوطنية بالعقيدة الدينية.

إن المنظمة هي ممثلة لكل الفلسطينيين، ففي المادة التاسعة من ميثاقها تبين بشكل واضح بأن المذاهب العقائدية لا تشغل الفلسطينيين عن واجهم الأول، ألا وهو تحرير فلسطين، فالفلسطينيون جميعاً جبهة وطنية واحدة، باختلاف معتقداتهم الفكرية يعملون لتحرير فلسطين. بينما وضحت الحركة في ميثاقها أنها ستتعاون وتساند القوى على الساحة الفلسطينية، ما دامت لا تعطي ولاءها للغرب الصليبي أو للشرق الشيوعي، أي حددت حماس شروط التعاون في تحرير فلسطين بالإطار العقائدي. وقد اتفق الميثاقان على أن هناك طريقاً وحيداً لتحرير أرض فلسطين المحتلة من قبل الصهاينة، ألا وهو الكفاح المسلح الذي يعتبر

استراتيجية وليس تكتيكًا (ميثاق المنظمة- المادة التاسعة قبل التعديل)، والجهاد عند حركة حماس الذي تم ذكره في أكثر من مادة من مواد الميثاق.

لقد حدد الميثاق الوطني في نصوصه بشكل صريح وواضح، إمكانية تغيير بنود الميثاق بموافقة أغلبية الثلثين من أعضاء المجلس الوطني. فقد تم تعديل الميثاق الوطني في سنة 1996 بحضور الرئيس الأمريكي بل كلينتون، حيث صادق المجلس على إلغاء وتعديل عدد من المواد التي تدعو للقضاء على إسرائيل<sup>23</sup>. بينما ميثاق حماس غير قابل للتغيير لارتباطه بمبادئ ومواثيق مشبعة بالقداسة الدينية الأزلية<sup>24</sup>.

وفي المقابل تجاوزت حماس نصوص الميثاق من خلال مشاركتها في النظام السياسي الفلسطيني القائم على أساس اتفاقية أوسلو. فقد دعا عدد من قيادات الحركة إلى تغيير الميثاق في بداية التسعينيات من القرن الماضي، أي قبل مشاركة الحركة في انتخابات المجلس التشريعي الثانية<sup>25</sup>. بالرغم من أن مشعل قد وضع في عام 2006 ردًا على سؤال حول إمكانية تراجع الحركة عن منطلقاتها الفكرية والأيديولوجية تحت ضغط الواقع في حوار مع صحيفة الأهرام بأن "الحركات التي تحترم نفسها هي التي تغير في التكتيكات ووسائل التطبيق دون أن يطول التغيير ثوابتها وإستراتيجياتها وحماس من هذا النوع من الحركات"<sup>26</sup>. إلا أن الحركة تجاوزت نصوص ميثاقها بعد كل التطورات التي طرأت عليها منذ انطلاقتها، وذلك باعتراف قادتها.

### المبحث الثالث: موقف الحركة من منظمة التحرير

لقد تباينت مواقف القوى السياسية الفلسطينية من تشكيل منظمة التحرير، فقد أعلنت حركة فتح عن إصرارها أن يكون الكيان ثوريًا ومرتكزًا على الثورة المسلحة وليس بديلاً عنها. أما موقف الإخوان فكان الخوف والتوجس من المنظمة التي دعمها الرئيس عبد الناصر، وربما رأى الإخوان في المنظمة منافسًا لهم، يملك الإمكانيات والمؤسسات والدعم الرسمي العربي والدولي إضافة إلى الميزانية الكبيرة التي أتيحت للمنظمة، فلم يشارك الإخوان في مسيرة المنظمة منذ إنشائها<sup>27</sup>.

وبعد شهر واحد من اندلاع الإنتفاضة، شكلت قوى منظمة التحرير الفلسطينية ما عرف بالقيادة الوطنية الموحدة المكونة من كل من حركة فتح، والجهة الشعبية، والجهة الديمقراطية، والحزب الشيوعي سابقًا<sup>28</sup>. إلا أن حماس فضلت العمل لوحدها وعدم

الإنضواء تحت راية القيادة الوطنية الموحدة، فاستمرت بالعمل وحدها دون التنسيق مع القيادة، من أجل أن تثبت نفسها كقوة رئيسة موازية أو بديلة للقيادة<sup>29</sup>.

خلال هذه المرحلة، بدأت حركة حماس وبشكل واضح بمنافسة الأطر المنضوية تحت لواء منظمة التحرير، إذ لم يكن رفضها المشاركة بالقيادة الموحدة رفضاً أيديولوجياً، لأنها في الوقت نفسه لم تتعاون مع الجهاد الإسلامي التي تشترك معها بنفس الأيديولوجيا، وهذا يبين رغبة الحركة بشق طريقها وإثبات نفسها بشكل منفرد، حتى تطرح نفسها بديلاً عن المنظمة.

أما فيما يتعلق بعلاقة الحركة بمنظمة التحرير وفقاً للميثاق، فيطمئن الميثاق السابق في بداية مادته السابعة والعشرين، بأن الحركة ترى في المنظمة الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، ولكن تعود الحركة في نفس المادة، وتبين بأنها لا يمكن لها أن تستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لتبني الفكرة العلمانية.

وفي المذكرة التعريفية لحماس التي صدرت بعد الميثاق بخمس سنوات، وضحت الحركة بأنها ترى أن ساحة العمل السياسي تتسع لكل الأطياف السياسية، وعلى جميع التنظيمات العمل على وحدة العمل الوطني، فالحركة تسعى للتعاون والتنسيق مع مختلف القوى في مواجهة العدو، وتصعيد المقاومة من غير تمييز ديني أو عرقي.

وبخصوص علاقتها بمنظمة التحرير، أوردت المذكرة التعريفية أن الحركة لا مانع لديها من الإنضمام للمنظمة على أساس التزامها بالعمل على تحرير فلسطين، وعدم الاعتراف بالعدو الصهيوني، وإعطائه شرعية الوجود على أي جزء من فلسطين<sup>30</sup>. لقد تنازلت الحركة عن الجانب الأيديولوجي المتعلق بإسلامية منظمة التحرير، كشرط للانضمام لأطرها، حيث بدأت الحركة في هذه المرحلة بتغليب السياسي على الأيديولوجي.

وبخصوص الموقف الجديد لحماس من منظمة التحرير الذي أوضحته الوثيقة الجديدة في البند التاسع والعشرين، بأن "منظمة التحرير الفلسطينية إطار وطني للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج يجب المحافظة عليه، مع ضرورة العمل على تطويرها وإعادة بنائها على أسس ديمقراطية، تضمن مشاركة جميع مكونات وقوى الشعب الفلسطيني، وبما يحافظ على الحقوق الفلسطينية"<sup>31</sup>.

إن هذا الموقف الجديد لحماس تجاه المنظمة، يؤكد على أن الفصائل الفلسطينية تعمل بمعادلة العامل الزمني، فمنظمة التحرير كانت في السابق ترفع شعار البندقية وترفض الاعتراف في إسرائيل. واليوم تجمد المنظمة أموال الفصائل المنضوية تحت مظلتها بناء على طلب أمريكي-إسرائيلي، وتنسق أمنياً مع إسرائيل، وتستنكر العمل العسكري، وتؤمن بأن المفاوضات هي الطريق الوحيد لاستعادة الحقوق الفلسطينية المسلوبة.

فمنظمة التحرير اليوم لم يبق لها ميثاق ولا بندقية، فحتى غصن الزيتون أحرقتها إسرائيل، وتبقى اسمها فقط بعد إفراغها من كل محتواها القومي والوطني، وسيطر عليها الرئيس محمود عباس فهو المتحكم باجتماعاتها وأموالها وكل مكوناتها السياسية، حتى أضحت المنظمة منظمة القائد وليست منظمة الفصائل والكل الوطني. إن موافقة حماس اليوم على الانضمام لمنظمة التحرير يشير إلى أنها حسمت أمرها تجاه تكيف سياساتها وتطويع أفكارها نحو الاعتدال، والدخول في الحياة السياسية الفلسطينية الرسمية الكاملة، وذلك من أجل السيطرة على المنظمة بطرق سلمية وتدرجية، ومن ثم التفاوض مع إسرائيل باسم المنظمة.

ففي تصريح لصلاح البردويل، عضو المكتب السياسي لحركة حماس بين فيه "أن منظمة التحرير الفلسطينية تحولت إلى مشروع من مشروعات السلطة وهي تحت عباءة رئيس السلطة محمود عباس"<sup>32</sup>. إذن ما الفائدة من انضمام حماس للمنظمة التي يتحدث عنها البردويل

ففي البند الحادي والعشرين من الوثيقة الجديدة، تؤكد حركة حماس على رفضها التام لاتفاق أوسلو وملحقاته، وما ترتب عليه من التزامات تتناقض مع مصالح الشعب الفلسطيني وحقوقه<sup>33</sup>. فقبول حماس الانضمام للمنظمة يناقض البند التاسع والعشرين في وثيقتها الجديدة، حيث أن منظمة التحرير هي التي وقعت اتفاق أوسلو مع إسرائيل سنة 1993 وما زالت ملتزمة في الاتفاق، وتفاوض منذ ذلك الوقت وحتى اليوم. فهل انضمام حماس للمنظمة لا يتعارض مع رفضها لاتفاق أوسلو، وفي حال انضمت حماس للمنظمة وحصلت انتخابات وفازت حماس برئاسة المنظمة، فهل يعني ذلك أنها ستلغي اتفاق أوسلو وتقطع العلاقات مع إسرائيل، وتسحب الاعتراف بإسرائيل، وتمنع التنسيق الأمني، أم سوف تفاوض هي باسم المنظمة وتقول نحن نفاوض باسم المنظمة الممثلة للشعب الفلسطيني، وليس باسم حماس.

وبهمنا في هذا السياق أن نشير إلى أن جماعة الإخوان المسلمين في مصر، كانت من أشد المعارضين لاتفاقية كامب ديفيد وطالبت بإلغائها، إلا أنها عندما وصلت سدة الحكم، لم تلغ الاتفاقية، وقالت إنها ملتزمة في العهود والاتفاقيات التي وقعت عليها الدولة.

لقد حاولت حماس منذ نشأتها منافسة منظمة التحرير، وفرض نفسها بديلاً عنها، إلا أنها لم تنجح، لذلك قررت حماس التوقف عن منافستها والانضمام لصفوفها من أجل تحقيق أهدافها السياسية المتمثلة في الانخراط في الحياة السياسية الرسمية الكاملة.

فيبدو أن حماس تريد الانضمام لمنظمة التحرير بنسبة تمثيل تؤهلها مستقبلاً للسيطرة عليها، وهذه السيطرة ستعفيها من الاعتراف بإسرائيل لأن من سبقوها كانوا قد اعترفوا بإسرائيل، فسوف تطبق حماس نفس السياسة التي استخدمها الإخوان المسلمين عندما تولوا الحكم في مصر بخصوص اتفاقية كامب ديفيد، وستعلن حماس بأنها ملتزمة بما تم التوصل إليه سابقاً من قبل منظمة التحرير.

#### المبحث الرابع: موقف الحركة من أصحاب الديانات الأخرى

لقد حددت حماس موقفها من أصحاب الديانات الأخرى في المادتين السادسة والحادية والثلاثين من ميثاقها<sup>34</sup>، فتؤكد الحركة أنه في ظل الإسلام يمكن لأصحاب الديانات أن يتعايشوا في أمن وأمان على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم، فكونها حركة إسلامية فهي تلتزم بسماحة الإسلام بالنظر إلى أصحاب الديانات الأخرى فلا تعاد منهم إلا من ناصبها العداء، وهددتهم الحركة بأن يكفوا عن منازعة الإسلام في السيادة على المنطقة، ولم تذكر المقدسات المسيحية ضمن بنود الميثاق.

وجدير بالذكر في هذا الصدد، أن نشير إلى الهتافات الدينية التي كانت حركة حماس تطلقها بكل مناسباتها، وهذه الهتافات التي تُنشأ بالاعتماد على نصوص روح العقيدة الدينية الإسلامية وفق منظور يخدم تطلعاتها السياسية التي تمثل هذه المعتقدات، وبما ينسجم مع سياساتها المعلنة في برامجها، ومن هذه الهتافات<sup>35</sup>:

الله أكبر الله أكبر ثورة ثورة عالمحتل وغير المصحف مافيه حل لا إله إلا الله والصهيوني عدو الله -الله أكبر بسم الله الله أكبر بسم الله -خير خير يا يهود جيش محمد سوف يسود -كبر يا مسلم كبر رأس الصهيوني دمر -كبر يا مسلم كبر عرش الصهيوني دمر -كل الشعب كبار وصغار والجميع يرمي حجار -ويا للعار يا للعار اليهود بتطلق نار -حطوا الميه عالنجاس

وإحنا أولادك يا حماس -انتفاضتنا شعبية والدولة إسلامية -لا شرقية ولا غربية ولا قومية عربية فلسطين إسلامية.

وفي كلمة ألقاها مشعل في عام 2012 وضع خلالها بأن "الحركة تتمسك بالقدس وبمقدساتها المسيحية والإسلامية ولا نتنازل عنها ولا نفرط بأي جزء منها"، ويضيف "بأن الحركة تتمسك بوحدة الشعب الفلسطيني بمسلميه ومسيحييه وبكل مكوناته الفكرية والسياسية والأيدولوجية"<sup>36</sup>.

لقد جاء الميثاق على ذكر أهل الديانات الأخرى، أما الموقف من المواطنة لأهل الديانات الأخرى فلم يوضح بشكل جلي في بنود الميثاق، فهل ستعامل معهم الحركة كأهل ذمة أم كأقلية. وفي ذلك يبين مشعل بأن "أبناء الوطن الواحد سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود لهم حق المواطنة"<sup>37</sup>.

وفيما يتعلق بحقوق أصحاب الديانات الأخرى، ومشاركتهم في القرار في حال حكمت حماس فلسطين يوضح مشعل "بأن الدولة العربية الإسلامية ومنذ أربعة عشر قرناً حفظت حقوق المسيحيين واليهود وغيرهم في عباداتهم، وأضاف بأن الديمقراطية هي حكم الأغلبية وفي البرلمانات العربية والإسلامية نجد ممثلين للمسلمين والمسيحيين على حد سواء، وكذلك تنتخب الأقليات غير العربية ممثلين لها في البرلمان.... لكن هذا ينطبق على اليهودي الذي هو جزء من المنطقة العربية وليس اليهودي الصهيوني المحتل والمعتدي"<sup>38</sup>.

ثم تأتي بعد ذلك قضية موقف حركة حماس من المسيحيين في الوثيقة السياسية الجديدة، حيث تبين فيها الحركة بأن المسيحيين في فلسطين هم مكون وطني، مع العلم أن التصريحات والممارسات سابقة الذكر تقول لاجديد في هذه النقطة غير أنها أصبحت موجودة في وثيقة رسمية، حيث نصت المادة السادسة في الوثيقة الجديدة بأن الشعب الفلسطيني شعب واحد، بكل أبنائه في الداخل والخارج، وبكل مكوناته الدينية والثقافية والسياسية<sup>39</sup>.

وفي نفس السياق، تبين حماس في المادة الثامنة من نفس الوثيقة "تفهم حركة حماس الإسلام بشموله جوانب الحياة كافة، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وروحه الوسطية المعتدلة؛ وتؤمن أنه دين السلام والتسامح، في ظلّه يعيش أتباع الشرائع والأديان في أمن وأمان؛ كما تؤمن أن فلسطين كانت وستبقى نموذجاً للتعايش والتسامح"، وفي المادة التاسعة بينت

الحركة بأنها تحرم الظلم بكافة أشكاله، وتجرم الظالم مهما كان دينه أو عرقه أو جنسه أو جنسيته؛ مؤكدة بأن الإسلام ضدّ جميع أشكال التطرّف والتعصب الديني<sup>40</sup>.

أما بخصوص العلاقة مع اليهود، فقد بينت الوثيقة في المادتين السادسة عشر والسابعة عشر بأن الصراع مع المشروع الصهيوني ليس صراعاً مع اليهود بسبب ديانتهم؛ وحماس لا تخوض صراعاً ضد اليهود لكونهم يهوداً، وإنما تخوض صراعاً ضد الصهاينة المحتلين المعتدين؛ بينما قادة الاحتلال هم من يقومون باستخدام شعارات اليهود واليهودية في الصراع<sup>41</sup>.

بينما استخدمت الكلمتين "اليهود" و"الصهيونية" بنفس المعنى في الميثاق. على عكس الوثيقة التي بينت أن الصراع ليس مع اليهود، وإنما مع الحركة الصهيونية التي تحتل فلسطين. ويتجلى مما سبق، بأن موقف حماس من اليهود لم يتغير في الميثاق ولا في الوثيقة الجديدة فالموقف نفسه، إلا أنه أصبح أكثر وضوحاً في الوثيقة. حيث فرقت الحركة ما بين اليهود والحركة الصهيونية، مؤكدة على أن صراعها ليس مع اليهود بسبب ديانتهم، وإنما مع الحركة الصهيونية التي قامت باحتلال فلسطين، أما اليهود فيمكنهم العيش في ظل الإسلام دون اضطهاد.

يلاحظ من خلال تحليل الوثيقتين بأن الميثاق كان يؤكد على أن قضية فلسطين قضية دينية ويجب معالجتها على هذا الأساس، بينما نجد أن الوثيقة تعتبر القضية الفلسطينية في جوهرها قضية أرض محتلة وشعب مهجر، فهل هذا يعتبر تغير في نهج الحركة من الأيديولوجي إلى السياسي في نظرتها للصراع الفلسطيني الإسرائيلي؟

فهي تريد من ذلك توجيه رسالة للمجتمع الدولي، بأنه لا مشكلة لديها مع اليهود وإنما مع الاحتلال، وأن الحل ليس دينياً وإنما سياسياً، والرسالة الثانية هي تهيئة قاعدتها الشعبية من أجل البدء في التغير التدريجي للاعتراف في إسرائيل والتفاوض معها.

#### المبحث الخامس: أهداف حماس السياسية بين الميثاق والوثيقة

حركة حماس بدأت كحركة دعوية إجتماعية هدفها نشر الهوية الإسلامية بين الأجيال الشابة من خلال الحلقات والندوات الدينية في المساجد، وخلال هذه المرحلة من عمر الحركة لم تمارس أي عمل مقاوم ضد الاحتلال الصهيوني، وإنما كانت منشغلة بالحشد والتعبئة

وبناء مؤسساتها. ومن ثم تطور عملها مع اندلاع الإنتفاضة الأولى لتتخبط في العمل العسكري أسوة بباقي فصائل المنظمة وحركة الجهاد.

ومن ثم أصبحت حماس قوة أساسية على ساحة المقاومة الفلسطينية منافسة للتنظيمات الفلسطينية الأخرى، مما غير من نظرة المجتمع الفلسطيني لحركة الإخوان التي ظلت عازفة لمدة عقدين من الزمن عن الجهاد ضد الاحتلال الصهيوني.

لقد حددت الحركة في الميثاق أهدافها، حيث بينت المادة التاسعة من الباب الثاني أن الباعث الرئيسي للحركة هو غياب الإسلام الذي أدى إلى غياب دولة الحق، وقيام دولة الباطل. أما الهدف الرئيس الذي ورد في الميثاق فهو عام وغير محدد ويتلخص بقيام دولة الإسلام بعد قهر الباطل ودحره؛ ليرتفع الأذان من فوق مآذن المساجد.

بينما في المذكرة التعريفية، تم تحديد الهوية السياسية للحركة وجاء فيها "أن حماس حركة جهادية شعبية تسعى إلى تحرير فلسطين كاملة من البحر إلى النهر"<sup>42</sup>. ووضح المرشد الروحي للحركة الشيخ أحمد ياسين في مقابلة له بمناسبة مرور 15 عامًا على انطلاقة الحركة، بأن الهدف الذي تسعى الحركة إلى تحقيقه، هو تحرير كل الأرض الفلسطينية والمقدسات، وإقامة الدولة الفلسطينية عليها وعاصمتها القدس<sup>43</sup>.

طرحَت الحركة موضوع تحرير فلسطين في الميثاق في المادة الرابعة عشرة من الباب الثالث، وربطته بثلاث دوائر وهي الفلسطينية والعربية والإسلامية. وتوضح الحركة في المادة الثامنة والعشرين دور الدول العربية المحيطة بإسرائيل، وتطالبها بفتح حدودها أمام المجاهدين؛ ليضموا جهودهم إلى جهود الإخوان المسلمين في فلسطين، أما باقي الدول العربية والإسلامية الأخرى مطالبة بتسهيل تحركات المجاهدين منها وإليها. وتبين الحركة في المادة الثانية والثلاثين من الباب الرابع، أن الحركة الصهيونية تحاول أن تخرج الدول العربية الواحدة تلو الأخرى من دائرة الصراع معها؛ لتنفرد بالشعب الفلسطيني، لذلك تدعو الحركة الشعوب العربية والإسلامية للعمل على تدمير المخطط الصهيوني.

وتوضح حركة حماس نظرتها إلى أرض فلسطين في المادة الحادية عشرة من الباب الثالث، بأنها تعتقد بأن أرض فلسطين وقف إسلامي على المسلمين إلى يوم القيامة، ولا يملك أي أحد مهما كان الحق بالتنازل عنها أو التفريط بها أو بأي جزء منها. والوطنية من وجهة نظر الحركة، جزء من عقيدة الحركة الدينية، فعندما يطء العدو أرض المسلمين يصبح الجهاد



فرض عين على كل مسلم ومسلمة (المادة الثانية عشرة)، وعادت الحركة لتكرر في المادة الخامسة عشرة من نفس الباب أن الجهاد فرض عين على كل مسلم، وأن فلسطين قضية دينية، ويجب معالجتها على هذا الأساس لأنها تضم مقدسات إسلامية.

بينما لم يتم تحديد الحدود الجغرافية لفلسطين في الميثاق، وإنما ورد في الميثاق بعدها المكاني حيثما تواجد المسلمون الذين يتخذون الإسلام منهجًا، ومن ثم تعود لتبين بأنها حركة فلسطينية متميزة تسعى لرفع راية الله على كل شبر من أرض فلسطين. ولكن تم تحديد حدود فلسطين في المذكرة التعريفية وتصريحات قادة الحركة بأنها من البحر إلى النهر.

أما الوثيقة الجديدة فقد أكدت فيها الحركة في الجزء الأول من البند العشرين على أنه لا تنازل عن أرض فلسطين من نهرها إلى بحرها، وفي الجزء الثاني من نفس النقطة توافق على إقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران لسنة 1967 تحت مسمى "صيغة توافقية مشتركة". على الرغم من أن ميثاق حماس السابق بين موقفها من القضايا المختلفة وأهمها الحق الإسلامي في فلسطين الكاملة، وليس في حدود الـ 67 فقط. بررت حماس اعترافها بدولة على حدود الـ 67 بأنها لا تريد الوقوف في طريق الاجماع الفصائلي، فقد حملت مسؤولية قبولها لمن سبقها في الموافقة. الموقف في الوثيقة متناقض في نفس النقطة (بند عشرون) وغير واضح ومحسوم، فلو ذكرت الحركة كلمة مرحليًا أي أنها بعد تأكيدها على عدم تنازلها عن فلسطين التاريخية، هي موافقة مرحليًا على دولة على حدود الـ 67 لكان موقفها واضحًا.

وكان القيادي الحمساوي صلاح البردويل قد مهد في 31 أيار/مايو 2016 بأن "قبول حماس بدولة على حدود 67 لا يعني التخلي عن أي ذرة من فلسطين"، مضيقًا "بأن موافقة حماس على برنامج القواسم المشتركة مع بقية الفصائل، لا يعني بأي شكل من أشكال تغيير موقف حماس الثابت في كل تراب فلسطين"<sup>44</sup>.

وبنفس المنطق، قال يوسف رزقة المستشار السياسي السابق لإسماعيل هنية بأن هناك فرق بين الموقف الأيديولوجي والسياسي، فموقف الحركة السياسي الذي تبنته الحركة بالتوافق مع الفصائل، يفيد بأن الصراع ينبغي من أجل إقامة دولة فلسطينية على حدود 67 مع الاحتفاظ بالحقوق الأخرى كحق عودة اللاجئين والتحرير، أما الموقف الأيديولوجي هو ذلك الموقف الفكري الذي يتحدث عادة عن حق الفلسطيني في أرضه كاملة من البحر إلى النهر"<sup>45</sup>.

بينما وضع القيادي خليل الحية، أن القبول بحدود الـ 67 هو قبول مرحلي، بقوله أن حركته تقبل مرحلياً بدولة في حدود سنة 67 وعاصمتها القدس، مع عودة اللاجئين، ودون الاعتراف بإسرائيل مقابل هدنة لمدة عشر سنوات<sup>46</sup>.

وعليه، يستدل من تصريحات كبار قادة حماس حجم التناقض والولوج في طريق التعاطي مع الواقع الجديد على حساب الثوابت الاستراتيجية للحركة، من أجل إرضاء المجتمع الدولي، والتطلع نحو منصب الرئاسة الفلسطينية، وكل متطلبات العمل السياسي الرسمي، بعد مشاركتهم في الانتخابات التشريعية الثانية.

يقودنا كل ماسبق إلى أن خطوة حماس في الإقرار في حدود الـ 67 هي بداية الاعتراف العلني في إسرائيل، ومن ثم التفاوض المباشر معها، وهذا ما تؤكد جملة تصريحات لقادة الحركة وعلى رأسهم مشعل. ففي تصريح لمشعل في عام 2008، بين فيه أن حماس تقبل بدولة على حدود الـ 67، وأن هناك محاولات إسرائيلية لفتح قنوات اتصال مع الحركة<sup>47</sup>.

أما بخصوص الاعتراف بإسرائيل، فقد صرح طاهر النونو مستشار رئيس حكومة حماس الإعلامي في سنة 2012، بأن حماس لا تستبعد الاعتراف بإسرائيل<sup>48</sup>. وقد زعمت صحيفة معاريف الإسرائيلية بأن مشعل مستعد للاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، وقبول حل سلمي يتضمن إقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران سنة 1967 وعاصمتها القدس الشرقية<sup>49</sup>.

وكان قد أكد وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو في سنة 2015 بأن حماس كانت تريد الاعتراف بإسرائيل، بعد الموافقة على حل الدولتين، لولا توتر العلاقات التركية-الإسرائيلية<sup>50</sup>. ويدل ذلك على مدى التساوق الحمساوي مع السياسة التركية التي لاتنسجم مع المعلن من ثوابت حماس<sup>51</sup>.

إن طرح حماس الجديد بالقبول في دولة على حدود الـ 67 هو القبول في خمس فلسطين التاريخية، ومن قبلها قبلت المنظمة بأوسلو الذي أعطاهما حتى الآن سبع فلسطين التاريخية. إن حماس مدعوة فعلاً لمراجعة مواقفها مراجعة علمية دقيقة، من خلال تجربتها مع الاحتلال الإسرائيلي، وتاريخ منظمة التحرير وحركة فتح في المفاوضات. فحماس تسير في طريق تغريق نفسها في وحل الاعتراف والتفاوض، وكل مستلزمات الحكم الرسمي وكأنها تسير على خطى حركة فتح في كل مجريات الحكم، حتى في الاعتراف والتفاوض مع إسرائيل.

إن خطوة حماس بقبول دولة على حدود الـ 67 ماهي إلا خطوة تمهيدية للتفاوض المستقبلي مع إسرائيل باسم منظمة التحرير بعد السيطرة عليها. وفي حال لم تستطع خلال ثلاث سنوات من فعل ذلك، ستتفاوض مباشرة مع إسرائيل، وستصبح التنظيمات كممثلهم في السجون الإسرائيلية، فمثلا ممثل حركة فتح يفوض إدارة السجون، وممثل حماس يفوض، وممثل الشعبية يفوض، ويصبح هناك كبير المفاوضين الراحل صائب عريقات عن المنظمة، وكبير المفاوضين غازي حمد عن حماس على سبيل المثال.

وهذا الصدد، تبرز هنا أسئلة هامة مفادها، هل اعتراف حماس في حدود الـ 67 يعتبر مقدمة للاعتراف الصريح في إسرائيل؟ وكم من الوقت يلزم حماس لتعترف في إسرائيل؟ وهل ستقدم إسرائيل لحماس أكثر مما قدمته لمنظمة التحرير؟ ولماذا تعتمد التنظيمات الفلسطينية على عامل الزمن في التنازل عن الثوابت الفلسطينية؟ فإسرائيل كلما تقدمت زمنياً تتشدد وتتجه نحو التطرف، وتنكر أي حق للفلسطينيين، فحتى أوصلو وكل ملحقاته تنصلت منها. وفي المقابل، نجد أن التنظيمات الفلسطينية تصبح أكثر ليونة، وقابلية للتنازل مع مرور الزمن.

بكلمة أخرى، إن ماضي منظمة التحرير ماض عريق، استمدته من الثورة والمقاومة، ومن معركة الكرامة، ومن عدم التنازل عن فلسطين التاريخية، حيث قدمت الشهيد تلو الشهيد من أجل فلسطين. فلم يكن في قاموس الثورة الاعتراف بدولة إسرائيل، ولكن عندما قبلت المنظمة بحدود الـ 67 واعترفت في إسرائيل لم تحصل على الـ 67، ولم تطبق إسرائيل ما تم التوقيع عليه في أوصلو، واقتصرت الأمر على سلطة بلا سلطات سيادية، هذا ما أدى إلى خفوت نجم المنظمة، وتنامي دور حركة حماس التي قدمت ماقدمته المنظمة في عز عنفوانها وتنامى التأييد الشعبي لحماس على حساب حركة فتح. فصعد نجم حماس المقاومة التي رفضت الاعتراف بما اعترفت به المنظمة، وشكلت البديل المعارض للتنازل عن فلسطين، وغرق حاضر المنظمة في مستنقع أوصلو ووحل التفاوض منذ ثلاثة عقود من الزمن. فهل ستعيش حماس نفس الدورة الحياتية للمنظمة، وتنتقل من دائرة العراقة لدائرة الغرق في التنازل ومن ثم الاعتراف بإسرائيل.

#### المبحث السادس: الحركة تبطل العمل بالميثاق للتقرب من المجتمع الدولي

وافقت حركة حماس على المشاركة في الانتخابات التشريعية الثانية التي عقدت عام 2006 على الرغم من أن مرجعية الانتخابات الأولى والثانية لم تخرج عن مظلة اتفاق أوصلو،

ولكن السبب الرئيس وراء قبولها المشاركة في النظام السياسي الفلسطيني، هو تغير هيكل الفرص السياسية وانتقاله من حركة فتح، لصالحها.

فقد أوضحت مسيرة حركة حماس بجلاء مدى البراغماتية التي يتسم بها سلوكها السياسي، وقدرتها على تطويع المبادئ لصالح ما تراه مفيداً لها في لحظة معينة، ويمكن القول أن حماس تسير بخطى سريعة نحو التعاطي مع الواقع المحيط، والمستجدات السياسية المتلاحقة، وهو ما يؤهلها لأن تتبوأ المكانة السياسية التي تتبوأها حركة فتح ممثلة بالسلطة. وستنحو حماس مستقبلاً منحى أكثر براغماتية يحل فيه السياسي مكان الأيديولوجي بصورة كاملة.

فقد أرادت حماس من خلال إصدارها للوثيقة السياسية توجيه رسائل مفادها بأنها مستقبلاً قادرة على التعاطي مع المستجدات السياسية، فهي تعمل بمبدأ التدرج في التغير والتطويع تمهيداً للقبول بحل الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي بالطرق السلمية، والتفاوض المباشر مع إسرائيل. فهذه هي حماس تسير على خطى حركة فتح، دون أخذ العبر من تجربة فتح.

حينما أعلنت حركة حماس عن الوثيقة الجديدة، منحت الجميع قراءة واضحة لتطورها الفكري، لم يكن حينها تغير كثير في مضامين ميثاق انطلاقها عام 1987 بقدر ما هو تغير بالوصلة الفكرية العصرية التي تتمكن من خلالها الحركة بالتعامل مع المجتمع الدولي الذي طالما كان مجحفاً بحق وجودها<sup>52</sup>. ففي المادة التاسعة والثلاثين من الوثيقة الجديدة بينت حماس علاقتها مع المجتمع الدولي، بأنها تؤمن في علاقاتها مع دول العالم وشعوبها، بقيم التعاون والعدالة والحرية واحترام إرادة الشعوب<sup>53</sup>.

وفي هذا السياق، قالت مجموعة الأزمات الدولية التي تتخذ من العاصمة البلجيكية بروكسل مقراً لها أن "لدى الدول الغربية وحركة حماس فرصة لتحسين علاقاتهما الثنائية على أن يبدي الطرفان استعداداً لإظهار براغماتية وواقعية أكثر". كما صرح مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المجموعة روبرت مالي، إن هذه التغيرات تعتبر بمثابة فرصة ثالثة للغرب وللمجتمع الدولي يجب عليهما ألا يفقداهما في علاقاتهما مع حماس، معتبراً أن الغرب فشل في تصحيح علاقاته مع حماس، عندما فازت الحركة بالانتخابات التشريعية الثانية<sup>54</sup>.

في ضوء كل ما تقدم، يتبن بشكل جلي أن الخيارات التي تتخذها الأحزاب الفلسطينية سواء كانت بالسلطة أو في المعارضة تنعكس انعكاساً مباشراً على الشعب الفلسطيني، وليس عليها فقط. فحركة فتح على سبيل المثال لا الحصر، عندما وقعت اتفاقية أوسلو، مفضلة طريق المفاوضات على المقاومة، أدى ذلك إلى تراجع في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للشعب الفلسطيني، ولم تحقق للفلسطينيين الحلم الذي ضحوا وقدموا الشهيد تلو الشهيد من أجله، بتحرير فلسطين وعودة اللاجئين وغيرها من القضايا الجوهرية. وفي المقابل، عندما ثار الشعب المصري ضد حكم الإخوان المسلمين، كان موقف حماس أن ما حدث كان انقلاباً على حكم الإخوان، فانعكس ذلك بشكل جلي على سكان القطاع وعلى المواطنين الفلسطينيين الموجودين في مصر، وبالأخص على الطلاب لدرجة أن البعض كان يخشى من الاعتراف بأنه فلسطيني. فهل التنازلات التي قدمتها حركة حماس من خلال الوثيقة ستغير من خلالها الواقع الفلسطيني المريع، وهل ستخدم هذه التنازلات الحركة نفسها، للأسف فبعد مضي أربع سنوات على إصدار الحركة للوثيقة، لم تقدم أو تأخر في الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، وبالأخص في القطاع، أما على مستوى الحركة، فما زالت تعاني من الحصار، وعدم القبول على المستويين الدولي والإقليمي.

#### الخاتمة:

يمكن القول بأن هذه الوثيقة تعد بمثابة انقلاب على فكر وأيديولوجية الحركة التي بدأت مسيرتها قبل أكثر من ثلاثة عقود، كحركة إسلامية أيديولوجية، ومن ثم حركة إسلامية مقاومة حتى وصلت لحركة سياسية براغماتية. لقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج والتوصيات ويمكن الإشارة إلى أهمها بشكل موجز:

#### النتائج:

أولاً: خلال المرحلة الأولى من عمر حماس، لم تمارس خلالها أي عمل مقاوم ضد الاحتلال الصهيوني. ومن ثم تطور عملها مع اندلاع الإنتفاضة الأولى لتتخطى العمل العسكري أسوة بباقي فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة الجهاد.

ثانياً: بعد مشاركة حماس في النظام السياسي الفلسطيني، تنازلت عن الميثاق بطريقة سلسة، وأعلنت قبولها بدولة فلسطينية على حدود ال67، ووافقت على هدنة مع إسرائيل طويلة الأمد، وتريد المشاركة في الانتخابات الرئاسية.

ثالثاً: تنازلت حماس عن علاقاتها مع الإخوان من أجل الوصول إلى الساحة الدولية عبر البوابة المصرية، ولكن لغاية الآن لم تتحسن علاقتها مع مصر جوهرياً، وبقيت العلاقة شكلية.

رابعاً: حماس تملك كنزاً ثميناً يتمثل في الجنود الإسرائيليين المأسورين، وضبطها للحدود مع مصر.

خامساً: رغم كل التنازلات التي قامت بها حماس، إلا أنها لم ولن تحصل على القبول الدولي إلا إذا تخلت عن الكفاح المسلح، واعترفت بإسرائيل بوضوح.

**التوصيات:**

أولاً: على حماس دراسة تجربة حركة فتح التي فجرت الثورة الفلسطينية، وقادت الكفاح المسلح وصولاً لتوقيع اتفاق أوسلو سنة 1993، ومن ثم تخلت عن قوتها مقابل الاتفاق مع إسرائيل التي لم تمنحها غير حكم ذاتي محدود. لذلك على حماس أن تأخذ العبر وأن لا تتخل عن مكان قوتها في القطاع، وتحديداً عن كتائب عز الدين القسام.

ثانياً: على حماس إتمام المصالحة والموافقة على الانتخابات المحلية والسياسية العامة، من أجل تجديد الشرعيات الفلسطينية.

ثالثاً: على حماس تحسين علاقتها السياسية والتنسيقية والأمنية مع جمهورية مصر، ومنع الجماعات الإرهابية من العبث في الأمن القومي المصري.

رابعاً: على حماس عدم ممارسة ما مارسته السلطة بحقها قبل وصولها للحكم، مثل انتهاك الحريات والاعتقال السياسي، وعليها رفع سقف الحريات في القطاع.

**الهوامش:**

<sup>1</sup> صادق عبد الله عيد، تطور العلاقات الدولية لحركة المقاومة الإسلامية - حماس، رسالة ماجستير، جامعة الأقصى، 2013، ص 24.

<sup>2</sup> ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - فلسطين، 18 آب/أغسطس 1988، الباب الأول، المادة الثانية، ص 2.

<sup>3</sup> مجدي نجم عيسى، المشاركة السياسية لحركة حماس في النظام السياسي الفلسطيني ما بين التمسك الأيديولوجي والبراغماتية السياسية، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2007، صص 5-6.

<sup>4</sup> حاتم يوسف أبو زائدة، "جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين حتى عام 1970 م"، أيلول/سبتمبر 2009، ص 26،

<http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title>

<sup>5</sup> مجدي نجم عيسى، المشاركة السياسية لحركة حماس في النظام السياسي الفلسطيني، مرجع سبق ذكره، صص 8-9.

<sup>6</sup> شاؤول مشعال وابراهيم سيلع، وعلي بدوان (معلق)، عصر حماس، الخليل - ترجمة خاصة، دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر، 1999، صص 37-38.

<sup>7</sup> مجدي نجم عيسى، المشاركة السياسية لحركة حماس في النظام السياسي الفلسطيني، مرجع سبق ذكره، ص 10.

- <sup>8</sup> خالد سليمان محمود، أثر حركة المقاومة الإسلامية "حماس" على التنمية السياسية في فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) 1987-2004، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، برنامج التخطيط والتنمية السياسية، 2004، صص 60-61.
- <sup>9</sup> ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، مرجع سبق ذكره، المادة الثامنة: شعار حركة المقاومة الإسلامية
- <sup>10</sup> Andrew Mc Carthy, "Hamis is the Muslim Brotherhood", 29 Jan 2011, <http://www.nationalreview.com/corner/258381/hamas-muslim-brotherhood-andrew-c-mccarthy>
- <sup>11</sup> مجلة المنطلق، "الشيخ أحمد ياسين: حماس تصر على حقها في المقاومة"، مجلة المنطلق، عدد 17، أيار/مايو 2000، ص 6.
- <sup>12</sup> وثيقة حركة حماس الجديدة، وثيقة "المبادئ والسياسات العامة"، 1 أيار/مايو 2017، البند الأول.
- <sup>13</sup> غسان شربل (حوارات)، خالد مشعل يتذكر: حركة حماس وتحرير فلسطين، بيروت: دار النهضة للنشر، ط 1، 2006، صص 99-100.
- <sup>14</sup> شجون عربية، حماس "تشارك في اجتماع كبير لقيادات الإخوان" في قطر، 26 تشرين أول/أكتوبر، 2016، <http://arabiya.com/?p=1281>
- <sup>15</sup> أحمد بلال، "قادة حماس يخالفون ميثاق الحركة وينفون ارتباطهم تنظيمياً بالإخوان"، 26 كانون أول/ديسمبر 2013، <http://www.almasryalyoum.com/news/details/365234>
- <sup>16</sup> القدس العربي، "البردويل يسخر من دعوات فصائل المنظمة للإنفصال عن الإخوان ويصفهم ب(الهبيل) والسفير المصري يؤكد: سلوك حماس يحدد مصيرها"، 29 كانون أول/ديسمبر 2013، <http://www.alquds.co.uk/?p=118045>
- <sup>17</sup> المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، "مقابلة مع فوزي بروهوم مع موقع فلسطين أون لاين من غزة"، 30 كانون أول/ديسمبر 2013، <http://www.hamasinfo.net/ar/default.aspx>
- <sup>18</sup> ندى حفظي، "باحث سياسي: حماس تنتهي للإخوان تنظيمياً وفكرياً واقتصادياً"، 31 كانون أول/ديسمبر 2013، <http://www.albawabhnews.com/300662>
- <sup>19</sup> ندى حفظي، "باحث سياسي: حماس تنتهي للإخوان تنظيمياً وفكرياً واقتصادياً" مرجع سبق ذكره.
- <sup>20</sup> Hamade Joyce, The Construction of Palestinian Identity: Hamas and Islamic Fundamentalism, Master thesis, McGill University: Institute of Islamic Studies, 2002 p72
- <sup>21</sup> إبراهيم أبراش، العلاقة المتبسة بين منظمة التحرير والسلطة وحركة حماس، 16 نيسان/أبريل 2008، <http://www.palnation.org/vb/showthread.php?t=5>
- <sup>22</sup> منظمة التحرير الفلسطينية، الميثاق القومي الفلسطيني، 2 حزيران/يونيو 1964، المادة الثانية
- <sup>23</sup> مزيد من المعلومات عن مواد الميثاق الملغاة والمعدلة انظر: قرار المجلس الوطني الفلسطيني بتعديل الميثاق، غزة، 24 نيسان/أبريل 1996، مجلة الدراسات الفلسطينية: [http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)
- <sup>24</sup> - شاؤول مشعل وأبراهام سيلع، وعلي بدوان (معلق)، عصر حماس، مرجع سبق ذكره، ص 71.
- <sup>25</sup> جريدة القدس، 20-12-2012
- <sup>26</sup> المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، "حوار مجلة الأهرام العربي المصرية مع الأستاذ خالد مشعل"، 18 شباط/فبراير 2006، <http://www.hamasinfo.net/ar/default.aspx?xyz=U6Qq7k>
- <sup>27</sup> عقل صلاح، منظمة التحرير وسيلة حماس لتحقيق أهدافها السياسية، 3 أيار/مايو 2017، <https://www.raialyoum.com/index.php/%>
- <sup>28</sup> رجب حسن البابا، جهود حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الإنتفاضة الفلسطينية: 1987-1994م، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، 2010، ص 58.
- <sup>29</sup> مجدي نجم عيسى، المشاركة السياسية لحركة حماس في النظام السياسي الفلسطيني، مرجع سبق ذكره، ص 50.
- <sup>30</sup> عقل صلاح، منظمة التحرير وسيلة حماس لتحقيق أهدافها السياسية، مرجع سبق ذكره.
- <sup>31</sup> وثيقة حركة حماس الجديدة، البند التاسع والعشرون، مرجع سبق ذكره.
- <sup>32</sup> الرسالة نت، البردويل: منظمة التحرير تحولت لمشروع سلطة تحت عباءة عباس، 25 نيسان/أبريل 2017، <http://alresalah.ps/ar/post/159504/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%AF%D9%88%D9%8A>

- 631